في إعجاز القرآن (١)

... وبعد فما زال هذا القرآن المجيد ، الذي « لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد » آية باقية على وجه الدهر ، وقد أولع العلماء به بحثاً ودرساً ، فعنوا بتدوينه وجمعه ، ومكيه ومدنيه ، وترتيبه وترتيله واختلاف مرسومه ، ومعنى أحرفه السبعة وطرق أدائه ، ووصف قراءاته السبع وقرّائه ، وبيان الحق في ناسخه ومنسوخه ، ومحكمه ومتشابهه ، وبأقسامه وأمثاله ، وفواتح سوره وخواتيمها ، وما في قصصه من عظات وعبر ، وكون إعجازه بلفته ، وتعذر ترجمته الحرفية (لا التفسيرية) .

ولكنّ أعلى هذه المباحث خطراً ، وأجلها قدراً ، وأبقاها أثراً ، ذكر خصائصه ومزاياه التي كان بها وحياً معجزاً ، فقد أُلفت في إعجازه كتب مستقلة ، وتجلت مباحثه في المصنفات الكلامية والبلاغية ، بَلْهَ ما فسر به المفسرون ما جاء في آية الاسراء ٨٨ : « قل لئن اجتمعت الانس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن ، لا يأتون بمثله ، ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً » وفي سورة يونس ٣٨ : « أم يقولون افتراه ، قل فأتوا بسورة مثله ، وادعوا من استطعتم من دون الله إن كنتم صادقين » وفي هود ١٣ : « أم يقولون افتراه ، قل فأتوا بعشر سور مثله مفتريات ، وادعوا من استطعتم من دون الله إن كنتم صادقين » .

وقد نزلت هذه السور الثلاث بمكة متتابعات كما رواه رواة المأثور ، وفي رواية عن ابن عباس أن سورة يونس مدنية ، والراجح الأول ، لأن أسلوبها

---

(١) مقدمة للمقالات المتسلسلة في إعجاز القرآن للأستاذ نعيم الحمصي التي نشرتها المجلة في المجلدات : (٢٧ و ٢٨ و ٢٩ و ٣٠) .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

مكي ، وجاء في سورة البقرة المدنية : «فأتوا بسورة من مثله ، وادعوا شهداءكم من دون الله إن كنتم صادقين» ٢٣ .

وقد توالت الأزمان ، والقرآن يتحدى أهلها بالإتيان بقرآن مثله في جملته ، أو بعشر سور تضاهيه في بعض أنواع إعجازه ، بل بسورة واحدة أيضاً تماثله بلفظه ونظمه وأسلوبه ، وهدايته وتأثيره وعلومه ، وقد تبين بعد طول هذا التحدي بأنه كتاب الله المنزل ووحيه المعجز ؛ لكنّ ما ألفه أمراء البيان يوقف على مواضع من حقيقة القرآن ومجازه ، ويجلي للناظر مطالع من إيجازه وإعجازه ، وإن كان هذا الوحي المعجز كالكهرباء وضيائها تستنير بنوره الأبصار ، ولا تحيط بكنهه الأفكار ، أو هو :

كالبدر من حيث التفتّ وجدته ... يهدي الى عينيك نوراً ثاقبا

كالشمس في كبد السماء وضوؤها ... يغشى البلاد مشارقاً ومغاربا

هذا ويودّ كل باحث في أسرار القرآن ومقاصده أن لو جمع ما دوّنه البلغاء في كنه هذا الإعجاز على تراخي العصور ، واتساع دائرة العلوم ، فانتدب لهذا الأستاذ نعيم الحمصي ، فلخص ما سطرته الأقلام ، مما جادت به القرائح والأفهام ، وجمعها في كتاب واحد سماه (تاريخ فكرة إعجاز القرآن) من بعد ما نشره مقالات في مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق ، بادئاً بتاريخ استعمال كلمتي : معجزة وإعجاز ، مفسراً لها لغة واصطلاحاً ، مشيراً الى أنهما بمعنى ما ورد في القرآن من الآية والبرهان والسلطان ، ذاكراً أول كتاب عُنون باسم : (إعجاز القرآن) في أواخر القرن الثالث أو مطلع القرن الرابع ، وكتب تحت عنوان (المعركة الفكرية الكلامية بين القرآن والعرب) صفحات كثيرة (مج ٢٧ ص ٢٤٣ — ٢٦٣) ضمنها محاجة الرسول لقومه بهذه المعجزة العظمى ، وما كان من إنكارهم لها ، واستكبارهم عن الإيمان بها ، وعجزهم عن الإتيان بمثلها ، ووضعهم

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

السيف والسنان مكان الحجة والبرهان . وهنا يظهر استقلال المؤلف عن جمهرة القائلين بأن العصر الجاهلي هو أكثر عصور الأدب ازدهاراً ، فإذا عجز أهله عن محاكاة القرآن فغيرهم أعجز ، ويرى أنهم كانوا مرحلة تمهيدية لمن جاء بعدهم من الكتّاب والشعراء والخطباء في العصرين الأموي والعباسي ، وهو لا يرى أن الزمان قد رجع في البيان العربي القهقرى في عهد عز العرب الإسلامي . واستدرك على من يفهم من قوله أن ليس القرآن إلا طوراً من أطوار النثر العربي ، وأنه فوق النثر الجاهلي ودون النثر العباسي ، من حيث الفن والمرونة والقدرة على الأداء ، قال : « وهذا غير صحيح ولا أقصده ، ذلك لأن القرآن في تاريخ الأدب العربي قائم بنفسه ، لأنه فذ في بيانه ، ويكفي لإدراك تفوقه أن يكون الناقد قد استوفى حظه من النقد الأدبي الفني ، فيقارن بينه (أي النص القرآني) وبين نص أدبي آخر ليشعر بالفرق المحسوس بينهما ، ذلك الفرق الذي جعله معجزاً دائماً ، والذي يرجع الى أسباب سأذكرها في حينها » .

وقد أنشأ فصلاً أبان فيه رأيه في إعجاز القرآن ، وجاء في أوله : « والذي أراه أنا هو أن القرآن باغتهم بمميزات فيه أدركوا جمالها وعجزهم عن مثلها » وردّ هذه المميزات الى أمرين اثنين ، أولهما لفظي يرجع الى أسلوب القرآن المخالف لأساليبهم جميعاً ، وثانيهما خفي أو داخلي يدرك بالذوق ويصعب بيانه وتعليله ، وفصّل القول في هذين تفصيلاً (مج ٢٧ ص ٤١٨ — ٤٢٣) وهنا انتهى المؤلف من الكلام على الجدال بين القرآن وبين العرب في عهد الرسول كما قال .

ثم قدّم (مقدمة) للإعجاز بعد عصر النبي (ﷺ) ذكر فيها ما خلاصته أن الصحابة الكرام ، كانوا قبل الاتصال بالأعاجم وعقائدهم ، على سلامة

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

في الفطرة ، وصفاء في العقيدة ، وقوة في الإيمان ، ووحدة في الأمة ، ثم امتد الزمان ، فاشتعلت الفتن ، ونشأت الفرق ، واقتتل المسلمون أنفسهم اقتتالا شديداً تحت راية القرآن وتأويله ، وفي عهد الفتوح ، وامتزاج المسلمين بشعوب البلاد ، كانت دعوتهم وجدالهم مع أهل الأديان « وكانت المناقشات الدينية قائمة فيها قبل الإسلام بزمن طويل على ساق وقدم ، تدور حول مسائل دينية فلسفية عويصة ، أهمها قضية لاهوتية المسيح أو ناسوتيته ، وقضية القضاء والقدر ، فكان حتماً عليهم أن يخوضوا غمار هذه المناقشات ، واصطدموا في العراق وفارس بأتباع المذهب الزردشتي وأتباع المذهب المانوي وبغيرهم ، فاضطروا الى مناقشة اصحاب الأديان في أديانهم ، والدفاع عن الإسلام الذي ينكره خصومهم ، وكان في مقدمة المسائل التي تستدعي الجدل والمناقشة مسألة نبوة النبي ، ومسألة تحدي القرآن للعرب في أن يأتوا بمثله ، ومسألة أنه وحي منزل من عند الله ، لا كلام ألفه الرسول » .

ومن هنا أخذ المؤلف يتكلم على فكرة إعجاز القرآن وتاريخها في العصور ، وأشهر من كتب فيها أخذاً وردًّا وقبولاً ورفضاً ، الى عصرنا هذا . ثم أخذ يصف كلام البلغاء في إعجاز القرآن وكتبهم التي ألفوها فيه خاصة ، وفي طليعتهم الجاحظ والواسطي وإن كان كتابه مفقوداً ، والجرجاني والفخر الرازي ، والزملكاني والقرطاجني ، وبين أن الجماعات التي بحثت مسألة الإعجاز هي أربع : جماعة المعتزلة ، والمتكلمين ، والمفسرين ، والادباء ، وأن هذه الجماعات ليست متباينة ، فقد يجمع الرجل بين الأدب والاعتزال كالجاحظ ، وقد يجمع بين الاعتزال وعلم الكلام والتفسير كالزمخشري ، وتراهم جميعاً يستمد بعضهم من بعض ، وختم البحث بقوله (مج ٢٧ ص ٥٧٣) ومن الخير أن أنتقل بعد هذه المقدمة التي بينت فيها خطوط فكرة الإعجاز الرئيسية ـ الى الكلام على من بحثوا فيها واحداً واحداً ، أصنفهم على حسب العصور التي عاشوا فيها ، ثم بحسب الجماعة التي ينتمون اليها اهـ .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

وقد طبق مارسمه بدقة وعناية ، ومشى في العصور عصراً فعصراً ، مبتدئاً من العصر الثاني ، مختتما بالعصر الرابع عشر ، مراعياً زمن الكتاب ، واصفاً روح عصورهم الأدبية ، ونحلهم التي يميلون اليها . هذا وقد كنت اطلعت على هذه الأقوال أو كثير منهـا ، وأمرّ عليها الآن مجموعة في كتاب بذل صاحبه فيه جهداً يشكر عليه ، وهو ناقل ناقد مستقل ، فلما يتيسر لغيره مثل ما وفق اليه وناقش فيه . وظاهر أن الغرض منه تأييد إعجاز القرآن لا نفيه ، بدليل أنه أثبت لنفسه رأياً في إعجازه ، وكتبه تحت عنوان (رأيي في إعجاز القرآن) واستدلّ على ما ذهب اليه بأدلة أوضحها (مج ٢٧ ص ٤١٨ وما بعدها) .

ومن سبر هذه الأقوال والآراء سبراً بعيداً عن العصبية والتقليد ، وجد فيها الصواب الذي لا يحتمل الخطأ ، والشاذ الذي لا مرية في شذوذه ؛ وإني ذاكر ما يجول في الخاطر عوناً للمؤلف الكريم على تنقية مؤلفه من الشوائب ، لا سيما ما هو فيه ناقل غير قائل ، وما عرفناه إلاّ مسلماً منصفاً ولله الحمد .

١ — في (مج ٢٧ ص ٢٤٩) : « وإذا رجعنا إلى الاعتبار الديني ، كان فيض هذا الشعور النفسي الديني لدى النبي أمثل وأقوى في أذهاننا ، سواء أكنا مع القائلين من علماء المسلمين بأن معاني القرآن منزلة وأن اللفظ من النبي ، أو مع القائلين بأن القرآن بمعناه ولفظه وحي من الله ، لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه » .

القول الثاني هو الصواب ، والأول خطأ صرف ، قال به بعض فلاسفة الغرب كتوماس ، ودينيه ، ودرمنغام وأمثالهم ، وقد كانوا كتبوا في السيرة النبوية شيئاً حسناً ، وبسطوا لأممهم حقائق منها لولاهم لطمسها الجهل والتعصب ، غير أن هؤلاء عرضت لهم شبه وأوهام ، فحسبوا الوحي الإلهي النبوي عموماً ، والمحمدي منه خصوصاً ، ضرباً من الاستعداد النفسي والفيض الذاتي ، أي

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

انه نابع من قلب الرسول (ﷺ)، غير نازل من عند الله (ويدخل في هذه الشبهات ما جاء وصفاً للقرآن (مج ٢٧ ص ٢٥٨ و ٤٢١) من قولهم: تفكير ناضج عميق شامل بعيد النظر، وتغذيها (أي الغاية الإصلاحية) عاطفة متأججة وخيال خصب).

وقد بسط السيد الإمام (محمد رشيد رضا رحمه الله تعالى) هذه الشبه، وأبرز معانيها، وصوّرها بأجلى صورها، ثم كرّ عليها بالنقض والإبطال، وبين فسادها واستحالتها من عشرة وجوه لا تحتمل الرد ولا المراء. (ص١٠٢ — ١١١ من كتاب الوحي المحمدي). وقريب من ذلك جعل المعتزلة القرآن مخلوقاً لا وحياً منزلاً، ففيه نفي صفة الكمال عنه تعالى وهي الكلام، وردّ لقوله «وكلم الله موسى تكليما» ويدفع قولهم (بالصرفة) — وهي في حقيقتها نفي الإعجاز عن القرآن — أن ليس للعرب من قبل ولا من بعد ما يماثله أو يدانيه.

ويقرب من هذه الأقوال بل يؤول اليها إثبات الكلام النفسي لله عز وجل دون الكلام اللفظي، فيكون معنى تنزيل الكتاب من عند الله هو إظهار صورة حسية عن تلك الصورة النفسية الإلهية، كما تؤخذ نسخة من الكتاب بآلة التصوير فتكون نسخة طبق الأصل! والأصل هنا ما في نفس الله عز وجل من الكلام المسمى بالقرآن، والمأخوذ عنه هو هذا القرآن المحفوظ في الصدور وفي السطور، ومعنى ذلك أن الله لم يتكلم حقيقة!! وقد عاب الله من يعبد إلهاً لا يتكلم فقال: «ألم يروا أنه لا يكلمهم ولا يهديهم سبيلا» وقد أنطق العلم الحديث الآن الجمادات فنطقت بغير فم ولسان كالحاكي مثلاً، أفتأبى قدرة الله وحكمته أن يتكلم إلا بفم ولسان كالإنسان؟! أفليس هو القادر على أن يختم على فم الانسان وينطق جسمه كما قال: «اليوم نختم على أفواههم وتكلمنا أيديهم ...» الآية، فهل يكون عاجزاً عن النطق من يفعل ذلك؟ سبحانك اللهم وغفرانك.

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

٣ – (مج ٢٩ ص ٥٧٦) قول الرافعي : «في اشتمال القرآن على مبادئ العلوم وعلى كثير من المخترعات والنظرات العلمية الحديثة» لا يدل على أنه «يجعل من القرآن موسوعة دينية دنيوية لعلوم الأرض ! ؟» وإني مورد أمثلة توضح هذه المشكلة :

أ) قال تعالى : «وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة» ولا يخفى أن (ما) من ألفاظ العموم عند علماء العربية والأصول ، فقوله : «وأعدّوا» هو أمر عام ، موجب على الأمة والدولة بذل أقصى المستطاع في إعداد القوة ، للدفاع عن الملة والحوزة ، وقد جاء اللفظ منكراً (من قوة) ليشمل كل قوة ، وهي تختلف باختلاف الزمان والمكان ، وفي عصرنا نعم بعموم اللفظين «(ما) استطعتم من (قوة)» القوى البرية والبحرية والجوية .

ب) ومن معناها قوله سبحانه : «فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم» فهي آمرة بصدّ كل عدوان يصدر من المجرمين أو الأعداء المحاربين وبإعداد سلاح من جنس سلاحهم مهما اختلفت أنواعه ، وتعددت أسماؤه ، فهو شامل للقذائف النارية اليدوية ، والمدافع والرشاشات ، وللسفن الحربية والغواصات والطائرة النفاثة وغيرها ، بل تعم الآن القنابل الذرية والهيدروجينية ، ولا بد من إنشاء المعامل والمصانع لصنعها ، فهل في دلالة هذه العمومات العربية والأصولية الشرعية ، على ما قدمنا ، افتئات على اللغة أو الدين ، ولماذا نقصر العام على بعض أفراده كالسيوف والسهام وهو أضعفها في هذا الزمان ، ونقول هذا هو الاسلام ؟

ج) وفي صحيح مسلم من حديث عقبة بن عامر أنه سمع النبي (ﷺ) – وقد تلا هذه الآية – يقول : «ألا إن القوة الرمي» قالها ثلاثاً ، ولفظ الرمي كما يدل على قذيفة السهم والمنجنيق ، فهو يشمل القذائف النارية التي تقذف من المدافع والطائرات وغيرها ، ونحن لا نقول : إن النصوص دلّت

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

على هذه القوى والأسلحة بأعيانها ، أو سمتها بأسمائها ، بل تقول: إنها شملتها بعمومها لأنها من أفراد هذا العموم .

د) وفي سورة يس : « وآية لهم أنا حملنا ذريتهم في الفلك المشحون ، وخلقنا لهم من مثله ما يركبون » وهذه الآية كما تدل على « سفائن برّ والسراب بحارها » تدل بعمومها على القطر الحديدية ، والسفن الهوائية وغيرها مما ظهر وسيظهر في عالم الوجود ، ومثلها آية : « ويخلق ما لا تعلمون » أفما يصح أن يكون هذا الايجاز الشامل طريقاً من طرق الإعجاز ؟ بلى ، وإلاّ فما معنى كون القرآن لكل زمان ومكان ، وكونه لا تتناهى عجائبه ؟

٣ — (مج ٢٧ ص ٢٥٥) : « وذكر الألوسي ذهاب ابن عطية والمبرد إلى أن التحدي بسورة ، وقع قبل التحدي بعشر سور ... وذكر في تبرير ذلك ما قاله ابن الضريس نقلاً عن ابن عباس في أنه تحدّاهم بسورة مثله في البلاغة والاشتمال على الغيب والأحكام ، فلما عجزوا تحدّاهم بعشر مثله في النظم ، وأيّد الشهاب رأي المبرد في أن التحدّي كان أولاً بسورة ثم بعشر » قلت : وأيدهم في هذا السيد صاحب المنار في تفسيره وبيّن أن حكمة التحدّي بالعشر بعد الآية الواحدة هو التوسعة بالإتيان بالخبر الواحد بأساليب متعددة متساوية في البلاغة ، وان القاموس الأعظم لإعجاز القرآن اللفظي هو تكرار المعنى الواحد بالعشرات والمئات من العبارات المختلفة في النظم والأسلوب ، وبلاغة العبارة وقوة تأثيرها في قلوب القارئين والسامعين لها ، وعدم وقوع الاختلاف بالتناقض أو التعارض في شيء منها .

٤ — يسرد الأستاذ المؤلف أسماء طائفة من أشهر المفسرين الذين خاضوا في الإعجاز من الطبري إلى طنطاوي جوهري في تفسير « الجواهر » ومحمد رشيد رضا في تفسير المنار ، قال « من الجزء الثاني حتى العاشر » ثم أفرد آراءهم

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

بالذكر ، ولم يُبنْ عن تفسير المنار شيئاً ، والظاهر أنه سها عنه ، أو لم يتمكن من تلخيص رأيه .

والذي أعرفه أنه تكلم في إعجاز القرآن في الجزء الأول ، وفي الحادي عشر والثاني عشر مفسراً فيها آيات التحدي في البقرة ويونس وهود ، ومما كنت كتبته في إعجاز القرآن من تفسيره ما نصه ، انه يضيف إلى وجوه إعجاز القرآن ، ومعجزات النبي (ﷺ) التي ذكرها سلفنا وجوهاً أخرى لم تكن معروفة من قبل ، وانكشفت الآن لدى المحققين الباحثين في خواص الكون ، وتاريخ البشر ، وسنة الله في الخلق ، وقد حققها القرآن الذي جاء به النبي عن ربه قبلهم بثلاثة عشر قرناً ، ككون الرياح تلقح الأشجار والثمار ، وكون السموات والأرض كانتا مادة واحدة ، وكجعل كل شيء حي من الماء ، وجعل النبات مؤلفاً من زوجين اثنين ، والرياح هي التي تنقل مادة اللقاح من الذكر الى الأنثى (راجع تفصيلها من ص ٢١٠ ج ١) قال السيد المفسر : وفي هذا المعنى عدة آيات ، أعمها وأغربها وأعجبها قوله تعالى : « سبحان الذي خلق الأزواج كلها مما تنبت الأرض ومن أنفسهم ومما لا يعلمون » .

٥ — للإمام ابن القيم كتاب مطبوع سماه « كتاب الفوائد المشوق إلى علم القرآن وعلم البيان) وكله شواهد لما وقع في الكتاب العزيز من فنون الفصاحة وعيون البلاغة ، وفي آخره فصلان في وجوه الإعجاز وأمثلة منه .

٦ — كتبت تصحيحاً لما رأيت من سهو في بعض الآيات الكريمة وها هي ذي مصححة :

(مج ٢٧ ص ٢٥٠ س ٨) « وكذلك ... » : « كذلك ... » السورة ٢ الآية ٢٤٢ .

(مج ٢٧ ص ٢٥٠ س ١٠) « ... وإن الله ... » : « ... وأن الله ... » الحج ، ١٦ .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

(مج ٢٧ ص ٢٥٠ س ١٥) نبي أعطي : نبيّ إلا أعطي «حديث» .

(مج ٢٧ ص ٢٥٢ س ٨) «إنه أساطير ...» : «وقالوا أساطير ...» الفرقان ، ٥ .

(مج ٢٧ ص ٢٥٢ س ٩) «... تتلى عليه ...» : «... تملى عليه ...» الفرقان ، .

(مج ٢٧ ص ٢٥٢ س ٩) «إنه افتراه ...» : «إن هذا إلا إفك ...» الفرقان ، ٤

(مج ٢٧ ص ٢٥٣ س ١) «وقال الذين كفروا ...» : «قال الذين لا يرجون لقاءنا ...» يونس ، ١٥ .

(مج ٢٧ ص ٢٥٤ سن ٨) : «... لم يحيطوا بعلمه ولم يأتهم ...» : «ولما يأتهم ...» يونس ، ٣٩ .

(مج ٢٧ ص ٤١٨ س ١٢) «يأيها الذين أسرفوا ...» : «قل يا عبادي الذين أسرفوا ...» الزمر ، ٥٣ .

٧ — (وفي مج ٢٧ ص ٤٢٢) : «فالذي أعتقده أن النبي لو فشل أو قتل لفاز قرآن مسيلمة أو أمثال مسيلمة» .

لِمَ لا يقال : لو فشل النبي الصادق لكان مسيلمة وأمثاله من الكذابين أشد فشلا ، وأقل ناصراً وعددا ، ولا يمكن أن تقيم نبوة الكذب طويلا .

٨ — في (مج ٢٧ ص ٥٧٧) : «فأما ابن الراوندي فقد ذكر الرافعي أنه كان يقول إن في القرآن كذباً وسفهاً» !! «وأما عيسى بن صبيح المزدار ف ... حتى انه كفّر مرة أهل الأرض قاطبة» وقد صنف الأستاذ الحمصي من تناول قضية الإعجاز في العصر الثالث الى أصناف : ١ — من ضعفت عقيدتهم وأنكروا الإعجاز من أحرار الفكر ، وأرباب الأديان ، ويمثلهم ابن الراوندي من المتفلسفة ، وعيسى بن صبيح المزدار من المعتزلة» . وقال : «كما كان من واجب المعتزلة أن يردّوا على أحرار الفكر والفلاسفة في مطاعنهم في الإسلام» .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

فتبين من هذا كله أن هذه الفوضى في الدين تسمى بحرية الفكر ، والمؤلف يسمي من اتهموا بالمعارضة للقرآن أو الزندقة بالمفكرين الأحرار ، والصواب أنّ هذا الصنف الأول وغيره من الطاعنين في الإسلام ، ومكذبي القرآن هم من أهل الكفر أو المكر والسفه فكيف يصح أن يلقبوا بهذه الألقاب : أحرار الفكر أو الفلاسفة ؟

٩ — المؤلف صافي الديباجة ، فصيح الأسلوب ، وقد مرّت بي وأنا أطالع الكتاب هنات هينات ، أرجو أن تلاحظ في الطبعة الثانية إن شاء الله :

جاء في آخر (ص ٢٤٧ مج ٢٧) : وإنما يقضي فقط على فكرة المعتقدين بأن الأدب الجاهلي هو أكمل مثال في تاريخ الأدب العربي » : لا محلّ للفظ (فقط) هنا ، لأنّ (إنما) تفيد الحصر وتغني عنها . ومثلها (في مج ٢٨ ص ٦١) : يمكن (فقط) أن تعرف ، ولا يمكن أن توصف . (وفي مج ٢٨ ص ٦٦) : كالمتنبي الذي لم ينسب اليه (فقط) عدم اعتقاده بإعجاز القرآن ، بل يرى الخ ومحلّ (فقط) بعد (بإعجاز القرآن) . ومثلها في (مج ٢٨ ص ٧٧) : أسلوب القرآن ليس أعلى (فقط) من أسلوب الإنس ، بل الخ فان محلها قبل (بل) .

(وفي مج ٢٧ ص ٢٤٩ س ٧) : برغم أن الرأي الذي تريد دعمه (ومج ٢٧ ص ٤١٩ س ١٤) برغم بساطتها . (وفي مج ٢٧ ص ٤٢٠ س ٧) : على الرغم من أنه يتناول الخ (و س ١١) برغم تقدمها النسبي .

أقول إن الأستاذ المؤلف يكتب في إعجاز القرآن وهو يحب أسلوبه ، وقد قال تعالى : « ويطعمون الطعام على حبه مسكيناً » الآية ، ولم يقل برغم حبه أو على الرغم من حبهم إياه ، فالأنصح على هذا أن يقال : على أن الرأي : على بساطتها : على كونه يتناول : على تقدمها النسبي الخ .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

١٠ — جاء في الخاتمة (مج ٣٠ ص ٣٠٨) قول المؤلف: ولا أرى الآن بدًّا من القول بأن فكرة الإعجاز عقيدة دينية مثل غيرها من العقائد التي لايمكن أن يؤيدها برهان عقلي أو حسي حاسم، يكون له قوة البرهان الرياضي، فيقنع الخصم المعاند» .

قلت: أما الخصم المعاند فيعارض حتى البرهان العقلي أو الحسي «وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم» «فاستحبوا العمى على الهدى» . ولكن الذي يجعل مسألة الإعجاز قطعية وقضية مسلمة هو التجربة، فكل معتقد أو منتقد في وسعه أن يمتحن نفسه أو من شاء بالاتيان بسورة أو عشر سور كالقرآن، فاذا استبان له عجزه وعجز غيره عن الإتيان بمثله، آمن عقله وحسه بالعجز الذي آمنت به نفسه .

ألا وإن هذه لحركة مباركة، ونهضة قرآنية بالغة، تدعو حماة اللغة والقرآن في المدارس والجامعات، ودعاة القومية العربية في كل مكان، أن يمعنوا النظر فيما كتب هذا الأخ الكريم في إعجاز القرآن، ليضاعفوا نشاطهم ويعيدوا الى هذه اللغة الكريمة عهدها الأول الأغر المحجّل، ولقد زرت مدارس الاستشراق في بلاد الأجانب فرأيت فيها الدارسين والدارسات للقرآن، ومن يتكلم منهم باللغة الفصحى، وما ينبغي أن يكونوا بدراستهم للغتنا وكتابنا أسعد حظًّا منا . والله تعالى يشكر للمؤلف ما بذله في هذه السبيل من عناء وجهد، ويبارك فيه ويكثر من أمثاله، والسلام .

محمد بهجة البيطار

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net